الفحص السريري للجهاة العصبية

للدكتور انس سبيح

الدكتور محمد هيثم الخياط

سعدت كثيراً بقراءة هذا الكتاب .. فقد كان العهد بكتب أساتذة كلية الطب في جامعة دمشق ، أن أوّل ما يطالعك فيها قبل محتواها العلمي ـ تلك النحة التي يَسْتمتع بها كلّ من أنعم الله عليه بالقدرة على تذوّق ما كتب بلسان العرب .. أعني ذلك « الطعم » الأدبي المستطاب يُحسنّ به القارىء بين الكلمة والكلمة، ويَصْحَبُه من أول الكتاب الى آخره .. كذلك كانت كتب الرعيل الأول ومن والاهم من روّاد الطب العربي الحديث .

ثم خلَف من بعدهم خلْف" أضاعوا هذه النعمة الكبيرة .. فبدأنا نطالع كتباً مكتوبة باحرف عربية ليس غير .. كلّ كلمة على حِدَتها مفهومة وذات معنى .. ولكن الطريقة التي يضعون فيها الكلمة بعد الكلمة ، تجعل القارىء يحار في فهم المراد ، فاذا كان ممن أغناه الله عن مآتيك الكتب ألقاها عنه واستراح ، أما ان كان ممن كُتِب عليه أن يدرس بها فالله في عونه ! .. أقلّ ما فيها أنها ترجمات غير أمينة ، بلغة غير مفهومة ، يشكّ" المرء هل كاتبُها نفسه على علم بما يقول ..

أقول أ تشعدني أن أقرأ هذا الكتاب،لأنّ" فيه ذلك«النَفَس» المريق الذي افتقدناه من زمان . وقد يكون لمن راجع الكتاب ـ وهو أستاذنا الدكتور حسني سبيح أطال الله بقاءه ـ فضل" في ذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كبير ، فهو من أبرز أفراد ذلك الرعيل المبارك .. ولكن لغة المؤلف الأصلية المفهومة تطالعنا دائماً في أثناء الكتاب ، وما كان ذلك ليخفى على من طالع كتب الاستاذ المراجع ودَرَس بها .. فهما لغتان مختلفتان وأسلوبان مختلفان ، ولكنهما يسيّقان جميعاً من ذلك الينبوع الأصيل نفسه .. اللسان العربي المبين .

وإن تَعْجَب فعَجَبٌ قولُهم : انهم لا يحسنون الكتابة بالعربية لأنهم درسوا بلغة أجنبيّة عندما ذهبوا للاختصاص في بلاد الغرب أو الشرق ، فعادوا لا يحسنون الكتابة بسلام .. فهذا مؤلّف هذا الكتاب : درس الطبّ كلّه ثم الاختصاص كلّه بلغة اجنبية (في كمبردج ولندن) ، ثم عاد يكتب كلاماً عربياً جميلاً منهوماً لا لبس فيه ولا غموض .

استمع إليه ـ مثلاً ـ يتحدّث عن القصّة المرضية فيقول :

« إن أهم مرحلة في استطلاع كُنْه أية حالة عصبية ، لهي الحصول على القصة المرضية المفصّلة ، بما فيها سيرة الأسرة Family history . وبه يتاح للطبيب اجتياز الشوط الأكبر نحو الوصول الى التشخيص .

« يبدأ الفحص العصبي منذ دخول المريض غرفة الفحص . فقد يُستدلّ على التشخيص بالانتباه الى سحنة المريض Facies ومشيته وانتصابه ووضعته ووجود حركات غير إرادية في أطرافه أو وجهه ... » .

أو حين يتحدث عن عُسْر الكلام فيصفه بأنه :

« اضطراب في التعبير عمّا يجول في الخاطر ، نطقاً أو كتابةً أو إيماءً . وقد يرافق اضطراب الأداء هذا ، اضطرابٌ في الفهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في بعض نماذج عسر الكلام • وتعرف الحالة الشديدة منه بالثحبسة aphasia .. »

أو عن حركة المقلتين فيقول :

« يطلب من المريض أن ينظر الى اصبع الفاحص وهي على بعد نصف متر تقريباً • ثم يطلب منه ملاحقة حركتها وهي تتجه ببطء إلى الوحشي ، ثم الى الوحشي والأعلى ، ثم الى الوحشي والأسفل ، وتكرر هذه الحركات في الجهة المقابلة ، وتحرك الاصبع بعد ذلك على الخط المتوسط نحو الأعلى والأسفل ، وتقرب ببطء نحو أنف المريض ••• » •

أو عن المنعكس القرني فيقول :

« لزوال المنعكس القرني في جانب واحد دلالة مرضية ذات شأن ، ولا شأن لضعفه في الجانبين معاً • يضعف المنعكس باصابة السبيل الحسي في آفات الزاوية المخيخية الجسرية ••• ويضعف حس القرنية أيضاً باصابتها بالعقبولة البسيطة أو المنطقية herps simplex os zoster ولا شأن لهذه الحالة من الناحية العصبية •• » •

أو عندما يتحدث عن الرجفان فيقول :

« قد يبقى في أثناء الحركة رُجَفان سَبَق له أن كان باديا في الراحة ، أو أنه يظهر بالحركة وحدها ليشتد كلما قربت الحركة من غايتها ••• وينجم عن عدم تثبيت المفاصل ، إما الدانية منها في علل النسيج خاصة وفي علل النواة الحمراء والقص الجبهي أحياناً ، وإما المفاصل القاصية شأن الحال في التنكس الكبدي العدسي ••• » •

هذه نصوص تلقطتها من هنا وهناك دون قصد •• لم أتخيرها ، فاذا أنت انتزعت منها بعض رطانات الأطباء (مصطلحهم العلمي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخاص أعني) ، فأيّ قارىء لها يجد في فهمها عنتاً أو يتعثر في استيعابها ؟

والكتاب بُعْدٌ ، مختصر مفيد ، ينحو دائماً منحى : خير الكلام ما قلّ ودلّ . وفي ذلك نفع كبير ، فالقارىء لا يضيع في متاهات الكلام المعاد المكرور ، كما نرى ذلك مع الأسف في كتابات كثير من كتّاب هذه الأمة أو في خطبهم أو محاضراتهم .. وفي ظني أن الكاتب أو المحاضر أو الخطيب ، إذا كان مستوعباً لما يريد أن يقوله للناس ، فاهماً له ، فإنه يعبر عنه بأوجز الصيغ وأبلغها ، فالخط المستقيم أقصر بعد بين نقطتين !

وفي آخر الكتاب دليل لمفرداته ومعجم لمصطلحاته على الترتيب العربي والانكليزي ، مما يزيد الفائدة منه ويُيسّر الرجوع إليه .

وقد يكون لي بعض الملاحظات على هذا الكتاب القيّم . فقد كنت أفضل لو يستعمل « الجدول » بدل « اللوح » كما درج على ذلك المؤلفون المحدثون ، ذلك أن « جدْوَل للركب : تتابع قافلته وبه سُمّي جدول الكتاب » أما اللوح فهو « كل صفيحة عريضة خشباً أو عظماً ... والكتف إذا كُتب عليها .. » كما في القاموس . فاللوح بهذا يقابل كلمة board الانكليزية (كما نقول اللوح الأسود blackboard للسبّورة التي يكتب عليها) أكثر مما يقابل كلمة table الانكليزية . أما كلمة tableau الفرنسية فهي تشتمل على المعنيين وتستعمل على الخصوص في الرسوم الفنية التي درج المحدثون على استعمال كلمة « لوحة » في مقابلها . حتى لقد صنعوا من « الجدول » فعلاً « جدْوَلَ يُجَدْوِل » واشتقوا منه « الجَدْوَلة » مقابل tabulation

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كذلك أفضّل استعمال كلمة « المَذَل » بدل شواش الحس لمقابلة كلمة paresthesia . فقد ورد « المَذَل » في المعجمات بمعنى اضطراب في الحسّ وهو « الخَدَر » ، ولكن قدامى الأطباء العرب تحدثوا عن « الامذلال الذي يصيب الأعضاء » بما يقرّب الكلمة من معناها الحديث .

وقد استعمل المؤلف كلمة « البؤبؤ » لمقابلة ثُقب العين أو ناظرها ، وهو استعمال صحيح لا غُبار عليه . وقد شاع استعمال « الحدقة » وهي في المعجمات أقرب الى ما نعبّر عنه « بالقُزَحيّة » . على أن الرّازي في كتابه « المنصوري » قد قال في حديثه عن ثقب العين : « وهذا الثقب يسمّى الحدقة » . فلعلّ هذا « الصواب المشهور » خير من « الصواب غير المشهور » .

ولي ملاحظة أخيرة على تعبير « عسر الكلام » مقابل dysphasia فمن المعلوم أن السابقة « dys » تدل على المعاني التالية « عُسْر ، سُوء ، خَلَل » . وقد أُفضّل استعمال « خَلَل الكلام » لهذا المعنى . فمن اختلالات الكلام dysphasias ما يكون فيه الكلام ميسوراً ولكنه مختلّ . وقد استعمل المؤلف الفاضل « خلل القراءة » مقابل dyslexia ، و « خلل الكتابة » مقابل dysgraphia .

وكل أولئك لا يغضّ من قيمة الكتاب ، ولكن لاختلاف الآراء دائماً فائدة في الوصول الى الحقيقة .

وهو بَعْدُ ، كتاب تحتاج إليه المكتبة الطبية العربية أيّما احتياج ... ونرجو أن يكون فاتحة خير لانتاج مثمر مبارك إن شاء الله .

دمشق — محمد هيثم الخياط

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net